إن خطئت فلا تزد

يضع ضمير الإنسان العديد من الحواجز بينه وبين الخطية، ويختلف حجم هذه الحواجز ودرجة شدتها بحسب درجة الحساسية التي تكوَّن عليها ضميره من جهة كل نوع من أنواع الخطية. فكلما قلت درجة حساسيته من جهة خطية معينة كلما صارت هذه الخطية كصديق البواب الذي يخرج ويدخل بلا رقابة ولا موانع وقتما يشاء، وكلما زادت درجة حساسيته من جهة خطية معينة كلما ركز عدو الخير كل حيله ومهارته في خلق ثغرة لإختراق تلك الحواجز. وهكذا يعمل العدو باليمين وباليسار لكي يقتنص على كل حال قوماً.

من أمثلة **"الخطايا صديقة البواب"** والتي لا تتسبب في إطلاق صفارة الإنذار كل الخطايا المتعلقة بمحبة الذات، أما الخطايا الجسدية فهي عادة ما تكون أكثر الخطايا بروزاً على شاشات رادار الضمير الإنساني وإعلاناً لحالة الطوارئ.

ويخطئ الكثيرون حين يظنون أن الخطية هي مجرد سقوط. لكن الحقيقة هي أنه يوجد داخل السقوط سقوط ثم سقوط تماماً مثلما يتدرج ظلام الليل من هزيع إلى آخر من مظلم إلى حالك الظلام. بمعنى أن الخطية تكون كحلزون لا قاع له. فبمجرد أن تنهار حواجز الضمير من نحو الخطية ويسقط الإنسان يظن أنه قد وقع صريعاً للضربة القاضية وأن عدو الخير قد نال منالله وأنه لابد وسيتركه في مصيبته بعد أن أرداه قتيلاً بلا حراك. لكن هذه هي أيضاً خدعة من خدع العدو الحربية. فالحرب عند عدو الخير هي بلا قواعد، وبلا حقوق للأسرى، ومباح فيها كل تنكيل وتمثيل بالجثث، فهو لا يؤمن أن "الضرب في الميت حرام" بل عقيدته هي "إن كان قد مات فلا تكف بل إضربه ثم ليموت أكثر ولئلا تقوم له قائمة".

لا تكاد تخلو قصة من قصص السقوط في الكتاب المقدس وفي سير القديسين التائبين من هذا المنهج الحربي لعدو الخير. لعل أبرز مثل في الكتاب المقدس هو سيناريو سقوط داود النبي الذي لما انزلق في حلزون الخطية ظل ينحدر من سقوط إلى سقوط حيث إبتدأ "بخطية صديقة للبواب" وهي التراخي في زمن الحرب والتمشي على السطح وانتهى به الأمر عند القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد مروراً في الطريق على الزنا والتحايل على أوريا الحثي. أما قصة القديس يعقوب التائب فهي المثال البارز في سير القديسين حيث كانت خطيته "صديقة البواب" هي التساهل في قبول بقاء المرأة المصروعة من الروح النجس في قلايته حتى يستمر في الصلاة من أجلها لكي يغادرها الروح النجس بلا عودة، وانتهى به الأمر إلى القتل العمد للمرأة لإخفاء سقوطه معها في خطية الزنا.

وإذ أدرك يشوع بن سيراخ هذا التسلسل الحلزوني في الإنحدار والسقوط قدم لنا نصيحته الثمينة: *"يا بني إن خطئت فلا تزد بل استغفر عما سلف من الخطأ"* (سي٢١:١). إنه ينبهنا ألا نقبل ونصدق خدعة العدو الذي يقول لنا: "أي سقوط بعد السقوط الذي سقطته؟!" فالحقيقة أنه يوجد أيضاً مزيد ومزيد. وإن كانت المرة الأولى في الخطية هي الأصعب لكن المرة الثانية هي الأخطر لأنها تعلن عن يأس الإنسان واستسلامه لعنوان علته الذي يضعه عدو الخير فوق رأسه: "هذا هو أخطى الخطاة". وهكذا تسلمه المرة الثانية إلى الثالثة والرابعة وهكذا دواليك في تواتر لا ينتهي فيجد الإنسان نفسه مستسلماً للخطية كقائد سيارة فقد كل سيطرة على مكابحها وعلى عجلة قيادتها.

وفي التجارة توجد قاعدة تنادي بتقليص الخسائر إلى أقل قدر ممكن. فإن كنت خسرت عشرة بالمائة **فلا تزد** فتخسر عشرين ثم ثلاثين ثم أربعين. فمن المؤكد أن خسارة أربعين بالمائة أسوأ بكثير من خسارة عشرة بالمائة. وهكذا الحال في الحروب فإن كنت قد فقدت عضواً من أعضائك في المعركة **فلا تزد** فتفقد كل حياتك فبالتأكيد فقدان عضو أقل بكثير من فقدان كل الجسد. بالمثل أيضاً "إن خطئت فلا تزد" (سي٢١:١) بل تمسك برجاء الخلاص وقم وإذهب إلى الله أبيك الذي هو الطبيب الحقيقي القادر وحده أن يوقف نزيف الخطية في حياتك وينتشلك من هاوية الموت.